اللغة العربية في تشاد بين إرث التاريخ وواقع التطبيق

د. محمد أحمد أبو سحر

تقديم:

تهدف هذه الورقة (اللغة العربية في تشاد بين إرث التاريخ وواقع التطبيق) إلى تسليط الضوء على وضعية اللغة العربية في أرض تشاد، والتي قصدها العرب منذ القدم، بطرق مختلفة، وغايات متنوعة، وعمّروها بثقافتهم وحضارتهم، فأثروا فيها ثقافيا، واجتماعيا، واقتصاديا، وفكريا، وأقاموا فيها حضارة قوية استطاعت أن تدفع بالإنسان التشادي نحو الأمام، بإقامة ثلاثة ممالك إسلامية - عربية، جعلت منها لغة رسمية؛ استخدمتها في كل مناحي الثقافة والفكر والإبداع، وتواصلت بها في شتى المناحي الاجتماعية؛ فتواصلت بها وتراسلت، حتى أصبحت وعاء لفكر وثقافة وعقلية المواطن التشادي، ومن هنا أسهم بها في التنمية العالمية بشكل إجمالي، إلى أن جاء الاستعمار، فحاول جاهدا على زحزحتها، وإحلال لغته مكانها بكل الوسائل والسبل، فقتل العلماء وشرد الحكام، وأبعد الغيورين عليها، ورغم كل ذلك الكيد فإنها صمدت، بقوة الحفظ الرباني، الذي جعل حفظ الذكر في حفظها، وبقيت تتصارع والواقع المفروض فرضا من القوة الاستعمارية الغربية، فتنتصر لحظة، وتتعثر حينا، وتعاقب أمرها مع تعاقب كل الحكومات المتتالية، حتى انبعث فجر الحرية، وأشرقت شمس الكرامة الوطنية، فبدأت تستعيد عافيتها، وتسترد كرامتها، لكن لم تكن الطريق أمامها مفروشة بالورود، ولم يكن المسار أمامها سالكا، لكن مع ذلك تجلّدت، بعزيمة أهلها، وتجشمهم لكل المخاطر، وتذليلهم لكل الصعاب، ونتيجة لنضالهم المستمر، ها هي اليوم تستعيد حقها رويدا رويدا. والحقيقة التي استطاعت اللغة العربية أن تصل إليها هي أنها أصبحت كافية للاعتراف الرسمي لمن يحملها، وبالتالي له الحق في أن يكلف بأي موقع إداري، أو سياسي، أو قيادي، أو... أو..

إذن هذا هو المحور الذي تناقشة هذه الورقة البحثية. نسأل الله أن يوفقنا في لملمته، لتتضح حقائق علمية ربما كانت خافية لكثر من الناس.

دخول العرب واللغة العربية إلى تشاد

تميزت أرض تشاد بإمكانات عديدة، جعلت منها ذات مكانة بارزة في إفريقيا؛ منها: موقعها الجغرافي الوسطي الممتاز، الذي يتوسط الإقليم الصحراوي، والسافنا، وإقليم الغابات الجنوبية. وكانت همزة وصل بين الشرق والغرب، والشمال والجنوب، فصارت أرضها ملتقى للعديد من الطرق التجارية العابرة من الشمال إلى الجنوب.(١)

هذا الموقع الاستراتيجي، جعل من تشاد نقطة ارتكاز أساسيّة، لالتقاء خطوط التجارة الدولية من جهة، وانتهاء طرق القوافل التجارية الإقليمية من جهة أخرى، فتعاقب عليها بواسطة هذه الخطوط والطرق، المهاجرون والفارون من كل مكان على مر التاريخ والعصور. (٢)

وكان احتواء المنطقة لبحيرة تشاد، ذات المياه العذبة، والمناخ الرعوي الزراعي الطيب، جذب إليها منذ القدم – أي ما لا يقل عن ستة آلاف سنة قبل الميلاد – مجموعات تبشيرية كبيرة ومتنوعة،(٣) فكانت لهم مركز نشاط وحياة، ومكان أمن واستقرار؛ لخلو أراضيها من العوائق الطبيعية، ولتحصينها من على بعد، يشبه دائرة من السلاسل الجبلية التي تحيط بها، ولبعدها الشاسع عن مناطق الاحتكاك المباشر للقوى العظمى بين الشرق والغرب آنذاك. (٤)

هذه العوامل وغيرها، حفزت العرب – كما حفزت غيرهم – إلى شق طريقهم نحو حوض بحيرة تشاد، ووجدت كل عشيرة بغيتها؛ فالتي ترغب في الزراعة، وجدت فيها التربة الخصبة، والمياه العذبة، و"من كانت تنشد التجارة، وجدت الطرق السالكة، والبيئة الملائمة، والمدن والقرى لتصريف سلعها".(٥) ومن كانت تنشد الرعي، وجدت الكلأ الطيب، والماء العذب لحيواناتها.

وقد عرف العرب طريقهم إلى هذه المنطقة منذ الألف الرابع قبل الميلاد –

على أقل تقدير– " فالطريق من بحر القلزم إلى بحر الظلمات، أو من البحر الأحمر، إلى المحيط الأطلسي حاليا، لم تكن العقبة فيه سوى طوله الممتد إلى ستة آلاف من الكيلو مترات، وقد أصبح هذا الطريق سبيلا إلى الهجرات العربية في أعماق الصحراء وجنوبها، في مختلف العصور".(٦)إلى أن وصلوا إلى جنوب القارة الإفريقية، ووسطها.(٧)

وكان وصول العرب إلى منطقة تشاد من جهة الشمال حيث الصحراء، ومن جهة الشرق، وانتشروا في جميع أنحائها. (٨) يقول القلشندي:" ولم يزل العرب في التنقل من جزيرة العرب، والانتشار في الأقطار، إلى أن كان الفتح الإسلامي، فتوغلوا في البلاد، حتى وصلوا إلى أقصى المغرب، وجزيرة الأندلس، وبلاد السودان، ملأوا الآفاق، وعمروا الأقطار. (٩)

وقد تدفقوا في رحلات مستمرة، بعضها كان نتيجة ضغوط سياسية، وبعضها بسبب وجود المراعي الوفيرة، والسهول الشاسعة بالنسبة للقبائل المحترفة الرعي. (١٠)

وتعتبر أكبر مجموعة عربية هاجرت نحو تشاد، تلك التي حدثت في عهد الدولة المملوكية، في مصر، في عهد السلطان الغوري،" إذ اشتد المماليك على كثير من القبائل العربية التي لم تذعن لسلطانهم، فهبت الدولة على مطاردتهم، والتنكيل بهم، خصوصا القبائل البدوية الراحلة، الأمر الذي أجبرهم على الهجرة إلى خارج حدود الدولة المصرية".(١١)

كما أن بعض القبائل هاجرت إلى تشاد عن طريق بلاد النوبة، جنوب مصر، وشمال السودان الحالي، وهي خليط من القبائل العدنانية والقحطانية وبطونها. (١٢)

ويقول بعض المؤرخين إن آخر موجة عربية هاجرت من الجزيرة العربية، إلى بحيرة تشاد، تلك التي حدثت بعد تصدع سد مأرب العظيم، في القرن الثالث الميلادي، حسب رواية حمزة الأصفهاني. (١٣)

وهذا لا يعني توقف الهجرات، ولكن جاءت بعد ذلك - أيضا – هجرات متتالية، كالتي حدثت بعد سقوط الدولة الأموية، وإمساك العباسيين بزمام الأمور، فقد ذكر بعض المؤرخين أن جماعة من الأمويين وأنصارهم لجأوا إلى بحيرة تشاد عند سقوط دولتهم بيد العباسيين، واستطاعوا أن يكونوا لهم نفوذا سياسيا واقتصاديا فيها، وأن مملكة كانم قامت على أيديهم. (١٤)كما يزعم جان جولي أن الأمويين هم من ألحقوا الأذى بخصومهم، مما اضطر جاليات عربية كثيرة إلى النزوح إلى مناطق مختلفة من إفريقيا، حيث استقر بعضهم في منطقة تشاد، ضمن شعب (الساو).(١٥)

إلا أن ما يمكن قوله تجاه هذا الاختلاف، في كلا الحالتين أن الهجرة وقعت، سواء كانت من الأمويين أو من غيرهم.

ويتحدث بعض الكتاب عن هجرات حدثت في شكل غارات مسلحة، استولى بها أصحابها على إقليم فزان وكوار، وقد مثل لها بما قام به الطوارق، والبرنو، والزغاوة، في القرن الحادي عشر الميلادي.(١٦)

ويذكر الدكتور/ عبدالله محمد آدم أن بعضا من العرب دخل داعيا إلى دين الله الحنيف، وفي الوقت نفسه بعضهم جاء هاربا من العدالة، ومنهم من دخل لاجئا، هاربا من طالبين له، وقد مثل لهذا بالأمويين الذين كانوا في الأراضي المصرية، والمغرب الأدنى، حين سقطت خلافتهم في أيدي العباسيين، فأصبح لا منفذ لهم إلى الشرق، ولا مخرج لديهم نحو الأندلس، أي أخيهم الحاكم هناك، ولا منجى لهم، ولا ملجأ عندهم إلا المنطقة التشادية، وباقي بقاع وادي النيل، وأراضي جنوب الصحراء عموما.(١٧) وهنا يطالعنا الرحالة هنري بارث بقوله:" أما فيما يتعلق بالمجموعة السكانية الكبيرة الأولى، وهي مجموعة السكان العرب، فإن هذه المجموعة تتألف من عدد من القبائل العربية، التي استقرت في دار وداي حوالي ٥٠٠ سنة ". (١٨)وحينما كتب بارث هذا الكلام، كان في حدود سنة ١٨٥١م.

ولم يذكر أهل التاريخ أن السكان الأصليين لهذه المنطقة رفضوا القادمين إليهم من الشرق، بل استقبلوهم بأذرع مفتوحة، ولم تحدث أي عراقيل بعد ذلك، وفتحوا المجال أمامهم في أوسع ما يكون، مما سمح لهم بالتوغل في الريف والقرى التشادية. (١٩) والسبب في ذلك واضح جدا؛ وهو أن هذه القبائل المهاجرة، لم تدخل البلاد محتلة، قاهرة لشعوب المنطقة، أو قاصدة الزعامة، وإنما كانت هجرات طبيعية، اقتضتها ظروف الحياة.

إضافة لما سبق، يتبين لنا أن العناصر المهاجرة جاءت كالتالي:

أ- هجرات مصر:

كما ورد في الصفحات السابقة، أنه في عهد الدولة المملوكية، وفدت أكبر هجرة عربية من مصر، إلى كانم، خصوصا

حينما شدد المماليك على كثير من القبائل العربية، التي لم تذعن لسلطانهم، فهبت الدولة لمطاردتهم، والتنكيل بهم، بالذات القبائل البدوية الراحلة، الأمر الذي أجبرهم على الهجرة إلى خارج حدود الدولة المصرية، حتى وصل بعضهم إلى بلاد كانم بتشاد، من بينهم قبائل الحسانية، وجذام، والعبابدة ... وغيرها، فهذه القبائل وصلت إلى تشاد طالبة ملجأ آمنا، بعيدا عن بطش المماليك، ولا تزال – حتى يومنا هذا – مستقرة في تشاد، خصوصا في إقليم البطحاء، ودار السلامات، بل أصبحت تمثل أهم القبائل التي تعتمد عليها الدولة. (٢٠)

وإذا كانت هذه الضغوط، دفعت بالبدو الرحل إلى كانم، (تشاد) من قبل الدولة المملوكية، فإنها قد استفادت من هجرات أخرى أيضا، أهمها تلك التي أفرزتها الضغوط السياسية، من قبل الدولة الفاطمية، وكان من هذه الجماعات المهاجرة، الأمويون، ثم بعض فقهاء المذهب المالكي، الذين ضاقت عليهم القاهرة بما رحبت، وقد وجدوا في بلاد كانم الجو الصحي، الذي يمكن أن يتنفسوا فيه بعمق، بعيدا عن الرقابة الحكومية، وبعيدا عن التعصب المذهبي، وقد أسهمت هذه الفئة – بعض الشيء – في وضع قاعدة قوية للمذهب المالكي في هذه البلاد. (٢١)

ب- هجرات الشمال:

من بين الهجرات العربية، والتي كان لها أثر فيما بعد، في تأصيل الثقافة العربية، هجرات التنجر، التي نزحت نحو منطقة بحيرة تشاد، بعد زحف قبائل بني هلال، وبني سليم، على شمال القارة، في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، وقد استقر التنجر في الجزء الشرقي من بحيرة تشاد، حيث أسسوا لهم مملكة صغيرة شمال غرب مدينة أبشة عاصمة إقليم وداي.

وقد توالى وصول القبائل العربية إلى المنطقة، من مثل المحاميد (الرزيقات)، بني هلبة، أولاد زيد، أولاد موسى، أولاد سرار، بنو هلال، بنو سليم، الهبانية، المسيرية، بنو وائل، بنو حسن ... وغيرهم الكثير، إذ يضيق المقام لذكرهم. وقد انتشرت هذه القبائل في المنطقة انتشارا كبيرا، (٢٢) حتى لم تخل عنهم أي منطقة في تشاد.

كذلك من ضمن القبائل التي هاجرت إلى تشاد، عبر الشمال الإفريقي، وصولا إلى حوض تشاد، قبائل كهلان، من عرب الجنوب، وهجرة قبائل طيء، وبطون من فزاعة. (٢٣)

ج- الهجرات الليبية:

بالإضافة إلى ما تقدم، فإن كثيرا من القبائل والعشائر الليبية، قد هاجرت إلى تشاد – لأسباب مختلفة – مكونة بذلك زاوية أخرى لامتداد الثقافة العربية؛ ففي عام ١٨٤٢م، عندما اشتدت القبضة التركية على ليبيا، وفرضت الضرائب الباهظة على المواطنين، تذمر الكثير منهم، وفروا إلى منطقة بحيرة تشاد، وكان منهم أولاد سليمان، والقذاذفة، وورفلة، والمغاربة الرعيضات. كما تكررت هذه الهجرات الجماعية في عام ١٩٣٠م، أمام القصف المركز، الذي قامت به الطائرات الإيطالية، عقب توغل قواتها العسكرية في الأراضي الليبية، ومن ثم انتشرت هذه القبائل في شتى المدن التشادية. (٢٤)

د. هجرات الشرق:

كما توافدت الهجرات العربية من الشمال الإفريقي، إلى منطقة بحيرة تشاد، فقد وردت من شرق القارة – كذلك – هجرات مختلفة، ومتعاقبة، من أمثال ذلك، مجموعة جهينة، التي وصلت إلى تشاد عن طريق السودان، خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، وهي تضم عددا كبيرا من القبائل والأفخاذ، والبطون، والبدنات الأبوية، وأكبرها السلامات، وأولاد راشد، والحيماد، والحريكة، والجعاتنة، وغيرهم، حيث أسست بعض هذه القبائل تحالفات، وتكتلات فيما بعد. (٢٥)

ومن هنا نستطيع القول: إن تشاد أخذت من حضارة إفريقيا، والجزيرة العربية، ونشرته في أقاليم جنوب الصحراء، بعد أن أضافت إليه من رصيدها الموروث(٢٦)، وامتزجت فيها القبائل العربية، والبربرية، بالإفريقية، عن طريق التزاوج والمصاهرة حينا، أو عن طريق المجاورة، والتعايش السلكي أحيانا، فكان من نتاج ذلك كله ظهور مجموعة بشرية جديدة، كونت الأمة التشادية الحديثة، عربية اللغة والأصول، داكنة اللون والبشرة، إفريقية القارة والمكان.

بهذا يتبين لنا أن العرب دخلوا منطقة تشاد منذ عهد بعيد، لكن لم يظهر لهم أي دور سياسي أو اجتماعي فعال – أو بالأحرى نحن لم نعرف – بسبب الأميّة، التي استشرت في المنطقة، حتى دخل الإسلام، فغير مسار الواقع الحياتي للناس، وأصبح

للعربية شأن لم تحظ به أي لغة سواها.

وهناك أمر في غاية الأهمية؛ يتمثل في أن الممالك التشادية منذ نشأتها، لم تعرف لغة رسمية مكتوبة، غير العربية، فهي لغة الثقافة والعلم، استعملتها في إدارات شئونها، وصدرت بها قراراتها، وتصريحاتها الرسمية، إلى أن اختل المستعمر المنطقة، وغير مجرى الحياة. كذلك أن الأسرة التي أقامت مملكتي كانم ووداي تنتسب كل منها إلى أسر عربية عريق؛ الأولى تنتسب إلى أسرة سيف بن ذي يزن(٢٧)الحميرية. (٢٨)والثانية مؤسسها عبدالكريم بن جامع يعود بجذوره إلى العباسيين، ولذا سميت المملكة منذ نشأتها (مملكة دار وداي العباسية).

أخيرا تجدر الإشارة إلى نقطة لا تقل أهمية عما ورد في الصفحات السابقة، لكن لم يشر إليها الباحثون، وهي هجرة العرب عن تشاد، إلى الدول المجاورة، خاصة بعد أن شهدت الساحة التشادية أزمات متعاقبة؛ تبدأ بدخول الاستعمار الفرنسي، الذي أوقع عليهم ضرائب باهظة، دون أن يقدم لهم أي خدمات تذكر، مرورا بالكوارث الطبيعية، التي شهدتها المنطقة في منتصف السبعينات، ومنتصف الثمانينات، من القرن الماضي. كذلك الحروب الأهلية التي عاشتها تشاد بعد نيلها الاستقلال مباشرة، واستمرت حتى وقت قريب. جميع هذه الكوارث، أسهمت في هجرة عكسية للعرب، لأنهم رعاة، محتاجون إلى منطقة آمنة، يهنأون بأمنها، ويتوفر فيها الماء العذب والكلأ الرطب، فلما عدموها، اضطروا نازحين؛ جزء كبير منهم هاجر إلى السودان، وجزء انتقل إلى ليبيا، وآخر إلى إفريقيا الوسطى، ومنهم من دخل النيجر، وبأعداد كبيرة.

دخول الإسلام:

إن انتشار اللغة العربية في تشاد يحتم علينا التعرض لدخول الإسلام أيضا، لأن له أثرا كبيرا، ساعد في انتشارها. يعود تاريخ دخوله إلى زمن مبكر، حيث ظهرت الطلائع الأولى للمسلمين في حوض بحيرة (كوار) التشادية، منذ منتصف القرن الأول الهجري (٤٦هـ)، السابع الميلادي (٦٦٦م)، إذ كانت تشاد من أشهر البحيرات في القارة الإفريقية، تلتقي حولها طرق القوافل التجارية التي كانت تعبر الصحراء، من دول المغرب صوب الجنوب، والعكس، ومن غرب القارة إلى مشرقها، لأداء فريضة الحج، ثم العود إلى ديارهم، من على الطريق نفسه الذي يمر بالبحيرة. هذا .. فضلا عن هجرات القبائل العربية المتعاقبة نحو منطقة بحيرة تشاد. (٢٩)

إذن دخل الإسلام منطقة تشاد منذ فجر الإسلام الأول، والتاريخ المسجل لدخول الإسلام فيها، هو نفسه الذي دخل فيه منطقة فزان – ليبيا، لكنه في تشاد انتشر رويدا رويدا، على يد الجاليات المهاجرة، والتجار المسلمين.(٣٠)يضاف إلى ذلك طريق آخر كان له إسهام في انتشار الإسلام، وهو طريق الشرق، الذي يمتد من وداي النيل إلى دار فور ووداي. (٣١)

لكن الإسلام المتفق على زمن دخوله، يختص بكانم، وودّاي، أما مملكة الباقرمي، فيبدو أن دخول الإسلام فيها كان متأخرا نسبيا، إذ يؤكد بعض الباحثين وصوله في القرن السابع عشر الميلادي، معتمدا على تاريخ إسلام أول ملوكها سنة ١٦٦٨م، ويقول السير توماس أرنولد بالقرن السادس عشر الميلادي، إلا أن بعض المؤرخين يذهب إلى عدم تأخره عن دخوله كانم.(٣٢)

ومهما يكن من أمر، فإن اللغة العربية، وجدت العناية بها من قبل أهالي تشاد بانتشار الإسلام، لأنها لسانه الناطق، بل اكتسبت قدسية عالية في قلوب الناس، حتى عمت الأراضي التشادية كلها، وبها انتظمت حياة المجتمع، الذي كان يسوده الجهل، وأنشأت العلوم والفنون والمعارف، التي تعبر عن ازدهار حياة المجتمع التشادي، بل أصبحت لغته الرسمية والشعبية. وفي عهد السلطان أوم جلمي (محمد جبل) الذي حكم كانم في الفترة ما بين ١٠٨٥ – ١٠٩٧م، أصبحت العربية لغة رسمية للدواوين والإدارات، وبها صدرت المراسيم السلطانية، التي عرفت بـ(المحارم السلطانية) (٣٣) و"ليس هناك لغة مشتركة، تجمع هذه القبائل التشادية المتعددة، في كل أوجه حياتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، سوى اللغة العربية، ولم تسبق بلغة جامعة غيرها قط، وكل ما عداها من لغات أوروبية وإفريقية، عجزت عن أن توفق بين لسان السكان في هذه البلاد". (٣٤) فالاتصالات والمعاملات بين جميع فئات الشعب في الأسواق، والبيع والشراء، والأسفار، بصرف النظر عن الدين والقبيلة، لا تتم إلا باللغة العربية. مع احتفاظ بلغاتهم الأصلية. يقول أحد المؤرخين: كانت العربية، هي لغة التواصل بين جميع هذه الفئات، كما أنها اللغة التي كان يتم التواصل بها على المستوى الخارجي، وإن

حدّ دخول الاستعمار الفرنسي - في مطلع القرن العشرين - من دورها الخارجي، فإنها ما تزال مستخدمة في كل المجالات، الدينية، والتعليمية، وفي التبادلات الثقافية، والسياسية، والاقتصادية، بين تشاد، وجميع الدول العربية. وقد كان لهذا الدور الضروري الذي تقوم به اللغة العربية في التواصل بين مكونات الشعب التشادي، بالغ الأثر في نماء اللغة العربية في المجتمع، إذ أصبحت وسيلة التفاهم بين الأفراد، سواء أكانوا من فصيلة واحدة، أو من عدة فصائل، ويتأكد ذلك إن كانوا من علية القوم، أو كان المقام مقاما معرفيا، أو أن أحدهما لا يجيد لغة الآخر.(٣٥)

تعمقت العربية في هذا الوسط، حتى أضحت موروثه الثقافي، بل يمكن القول: إنها امتداده الحضاري، الذي يتيح له التواصل مع الآخرين، ومع مفردات الواقع الذي يعيشه، في السوق، في المستشفى، في القرية، وفي أسماء المناطق المختلفة: أم حجر، أم التيمان، أنجمينا، أم دم، قوز بيضاء، آتية، المساقط ... وفي المناسبات المختلفة.

ولم يقتصر دور اللغة العربية على التواصل بين مكونات الشعب فحسب، بل تجاوز إلى التأثير في جميع اللغات السائدة في تشاد، فلا تكاد تخلو لغة تشادية عن نسبة معتبرة من المفردات العربية، وصل بعضها حتى إلى ٤٢٪، وفي عموم أثر العربية على اللغات المحلية، تبين أن نسبة ٣٥٪ من ألفاظ اللغات التشادية لها أصول عربية.(٣٦)

ويمكن تقسيم اللغة العربية التي يتحدثها التشاديون إلى:

١- اللغة العربية الدارجة: وهي اللغة التي يتحدث بها العرب الرحل، وهي تتميز بقوة ألفاظها وجزالتها، وهي لم يطرأ عليها تغير، ولم تتأثر باللغات المحلية، كما هو بالنسبة للغة المدن.

٢- اللغة العربية العامية: وهي اللغة العربية التي يتحدث بها قاطنو المدن، وهذه قد تأثرت بعض الشيء، ببعض الألفاظ من اللغات الأخرى، وهي يتحدث أغلب التشاديين، بغض النظر عن قبائلهم المختلفة.

٣- اللغة العربية الفصحى: وهي التي يتحدث بها المثقفون، ولغة التدريس، في المدارس والمعاهد والجامعات.(٣٧)

العربية في عهد الاستعمار

كانت العربية اللغة الرسمية والشعبية الوحيدة التي تربعت على الأرض التشادية، والتي استطاعت أن تلبي حاجة المجتمع، منذ أن عرفت تشاد قيام ممالك، بل استطاعت أن تحفظ له تاريخه وتراثه، حتى غدا تراث تلك الممالك كله باللغة العربية، (٣٨) ومنذ ذلك التاريخ، إلى زمان الناس هذا، ارتبط الإنسان التشادي باللغة العربية، من خلال اهتمام السلطنات، ومن خلال اهتمام الأهالي بمعاهد العلم والقرآن، واتخاذها نوعا من مقاومة الاستعمار الثقافي، ووسيلة للحفاظ على الشخصية التشادية في العصر الحديث.(٣٩) ذلك أن الثقافة العربية – الإسلامية، رافد أساس من روافد ذاته وهويته،" وهذا التراث الشعري، والعلمي، الذي يأتي من وراء القرون، شاهد على أن العربية في تشاد ليست طارئة أو مؤقتة، بل هي قصة كيان الإنسان التشادي، ولغة حضارته الممتدة إلى أكثر من ألف عام".(٤٠)

فلما قدم الاستعمار الفرنسي، عمل جاهدا في أسرع وقت على تعطيل استعمالها في إدارات الدولة، ووزاراتها، ومعاملاتها الرسمية، وفرض الفرنسية، كلغة تعليم في المدارس التابعة للدولة. وتقوقعت العربية، لاسيما في مجال التعليم، واقتصرت على المدارس الأهلية، وخلاوي القرآن الكريم. مع العلم أن الأوروبيين يعرفون مدى أهمية اللغة بالنسبة لبني البشر، يقول أحد علمائهم:" إذا حرم الإنسان من موطنه على الأرض، فإنه يجد موطنا روحيا في لغته القومية "، وبينما تعاملوا مع لغاتهم على هذا الأساس، حاربوا لغاتنا وبكل ضراوة، فنابليون كان يودع بعثاته الاستعمارية قائلا: " علموا اللغة الفرنسية أينما ذهبتم، فتعليمها هو خدمة الوطن الحقيقية ". وهكذا كان قائدهم يؤكد: إن الجزائر لن تصبح فرنسية حقيقية إلا عندما تصبح لغتنا لغة قومية.(٤١) وهذا الأمر عينه الذي طبقه الفرنسيون في أرض تشاد.

لكنها من الناحية الواقعية، ظلت العربية تحتفظ بقاعدتها العريضة، في قلوب وألسنة عامة الشعب، بصرف النظر عن اختلاف قبائله وأعراقه، واختلاف معتقداته، التي تتمثل في الإسلام والمسيحية، والمعتقدات التقليدية الأخرى.(٤٢)

ولم يستطع الفرنسيون - بعد دخولهم البلاد واحتلالهم لمراكز القوة – نزع اللغة العربية عن لسان السكان، ولم يستطيعوا إيجاد بديل عنها، حتى الذي أتقنوا الفرنسية، لا تتم معاملاتهم الاجتماعية

والاقتصادية في الأسواق والمحافل العامة، إلا باللغة العربية، ومن لا يعرفها، لابد من البحث عن مترجم له في أو ساط الشعب، حتى يقضى غرضه.

هذا علاوة على أن اللغة العربية كانت من أهم وسائل نشر العقيدة الإسلامية بين السكان. وعندما تأكد المنصرون المسيحيون مكانة العربية في قلوب الناس، ولم يجدوا طريقا غير العربية لبث دعوتهم، عمدوا إلى ترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية الدارجة.

مهما يكن من أمر، فإن الفرنسيين فرضوا لغتهم على أرض الواقع، وأجبروا الأهالي أن يرسلوا أبناءهم إلى مدارسه، لكن الشعب التشادي وقف صلبا، رافضا مبتغاه. ولما عجز عن لي أذرعهم، قام بتعيين مدرسين للغة العربية عبر حاكم وداي آنذاك (دمراس)، ثم أسس ثانوية أبشة المزدوجة، لكن هذا التأسيس لم يكن في الواقع سوى محاولة لامتصاص اللغة العربية، ثم تحجيمها، لتمنع في الأخير عن منافسة اللغة الفرنسية، ومن ثم إعطائها دورا هامشيا في مجال التعليم. علما أن الغاية القصوى هي كسر الصمود الثقافي، الذي كان يشكل عقبة أمام تقليص الحضارة العربية – الإسلامية، وإرساء الثقافة الفرنسية على حسابها.

ومما لا شك فيه أن هذه الخطة أعطت ثمارها، وفرضت على تشاد ثقافتين:

- ثقافة شكلية، وهي التي تجسدها النخبة (المثقفة)، ويروج لها من قبل المؤسسات الرسمية.
- ثقافة الواقع والمضمون، وهي ما يجسدها عامة الشارع، والبيت التشادي.

تلك الخطة الفرنسية، تشبه ما فعله (كرومر) الإنجليزي في مصر، حين أوقف تعيين كل من لا يعرف الإنجليزية في المصالح الحكومية المصرية.

بالفعل، عمل الفرنسيون بكل ما أوتوا من قوة على (فرنسة التشاديين)، إن لم يكن سلوكيا، فعلى الأقل لغويا، عن طريق المدارس، التي تم إنشاؤها، وعن طريق فرنسة الإدارة الحكومية، لما يعلمه من أهمية اللغة، فمحاربة اللغات القومية هو المصدر الرئيسي لزعزعة الثقة بالنفس، وتمزيق الوحدة والشعور بالذات، أو بعبارة أخرى، أن القضاء على اللغة القومية، هو القضاء على القومية ذاتها. (٤٣)

لكن مع ذلك، يختلف الاستعمار الإنجليزي عن الفرنسي، إذ إن عقلية الإنجليز تميل إلى (المال)، ولذلك فهي تركز أساسا على كسر القوة العسكرية للمستعمرة، وإحكام القبضة عليها، والاكتفاء باستغلالها اقتصاديا.

أما العقلية الفرنسية، فهي تميل إلى (المجد) والهيمنة، ولذلك فإنها تركز على هدم ومسخ شعب المستعمرة، تاريخيا، وثقافيا، حتى تتحقق التبعية الكاملة لشعب المستعمرة لإرادتها. (٤٤)

وفي طريق فرنسا لتحقيق أهدافها الثقافية والدينية، لم تجد سدا منيعا، وعقبة كؤودا سوى الشيوخ والعلماء (الزعماء الروحيين)، فهم الذين حالوا بين فرنسا وبين إتمام السيطرة الكاملة على تشاد، ولذلك لم تتردد في التخلص منهم بذبحهم، بوحشية تتنافى مع كل القيم الدينية والأخلاقية، وتنم عن وحشية، وبربرية بعيدة كل البعد عن الحضارة الإنسانية.

ومن هذه المذابح التي ارتكبوها:

١- مذبحة أبشة، المعروفة بمذبحة (الكبكب) (٤٥) سنة ١٩١٧م.
٢- مذبحة فايا، سنة ١٩١٧م.
٣- مذبحة كانم، سنة ١٩٤٠م.

واستشهد جراء هذه المذابح، وغيرها، المئات من زعماء المسلمين (العلماء)، حيث دفعوا حياتهم في سبيل شرفهم، ودينهم وعرضهم، ومنهم من نجا بنفسه ودينه، بالفرار واللجوء إلى البلاد المجاورة، ومنهم من لم يتمكن من ذلك. وهؤلاء الذين بقوا، عمل المستعمر على تحويلهم إلى أدوات، تخدم غرضه؛ إما خوفا من بطشه، وإما طمعا في الحماية، وإما لقاء المال والهدايا والمناصب. (٤٦)

كما عمد الاستعمار قبل خروجه إلى خلق صراع بينه وبين المسلمين، انحصر في اتجاهين أساسيين:

- أولا: التصدي للمظاهر الإسلامية والثقافة العربية، بالقضاء على كل ما ومن يمثلهما، خصوصا المدارس القرآنية والعلماء والشيوخ، وقطع الروافد التي تغذيها وتدعمها، لعزل تشاد عن عالمها الإسلامي، وفي المقابل نشر ودعم المسيحية في البلاد بكل الوسائل.
- ثانيا: التصدي للغة العربية، ومحاربتها بكل طريقة ممكنة، عن طريق وضع الخطط والقوانين والقواعد التي تحد من استخدامها والتمسك بها، وفي المقابل فرض اللغة الفرنسية كبديل، وإحاطتها بكل عناية وتشجيع، من أجل دفع الناس للتحدث بها، فأصبحت المدارس الفرنسية في أذهان الناس مرتبطة بالوظيفة، والمكانة المميزة في المجتمع، والوصول إلى المناصب العليا

في الدولة.(٤٧)

ورغم ذلك التهميش فإن العربية صمدت، بل واستقوت كذلك، إذ نجد "رجل الشارع البسيط، يتجاوب مع اللغة العربية الفصحى بكل سهولة وبساطة، والأكثر من ذلك استماعه للإذاعات العالمية المختلفة الناطقة بالعربية الفصحى، المسموعة منها والمرئية (مونت كارلو، البي بي سي، التشادية، السعودية، مصر، السودان)، والقنوات التلفزيونية الفضائية مثل: الجزيرة، العربية، الـMbc...إلخ، ومتابعة القنوات الرياضية، والتفاعل مع تعليقاتها المؤثرة.كذلك متابعة الأفلام، والمسلسلات العربية، والزائر لتشاد اليوم، لا يحس بأي فارق في تجاوب التشاديين، وتأثرهم بما يجري في العالم العربي، وذلك كله بمفضل الإعلام العربي المتابع من قبل التشاديين.

استعادة العربية لدورها

إن دخول الاستعمار الفرنسي في تشاد، وفرضه للغته، لم يستطع تغيير مكانة العربية، رغم محاولاته المتكررة، وقد اعترف الحاكم العسكري الفرنسي بهذا الواقع، وتقبل عدة رسائل، وصلت إليه مدونة باللغة العربية، حفظ المتحف الوطني نماذج منها، تحت رقم ٧٦٤ بتاريخ ٥/ ١٩٣٥/٢م، وهي موجهة إلى الحاكم الفرنسي (ديك آدم)، (٤٨) وأخرى تحت رقم ١٩٢٨/٦٧٦م.(٤٩)

وأصدر الحاكم الفرنسي جريدة باللغة العربية، اعترافا منه بمكانة اللغة العربية، في وسط المجتمع التشادي، وهي (كوكب التشاد)، (٥٠) يوجد بمركز الوثائق والمخطوطات بجامعة الملك فيصل بأنجمينا، نسخة صدرت سنة ١٩٥٤م، وفيها معلومات هامة عن المجتمع التشادي.

وبعد الاستقلال أشار الرئيس التشادي الأول (تمبلباي) أكثر من مرة إلى أهمية اللغة العربية في المجتمع التشادي. (٥١)

وبشكل عام فإنه ابتداء من تاريخ ١٩٥٩/١٢/١٥م بدأ عمليا في الاعتراف بتدريس اللغة العربية في المدارس الرسمية التشادية. واعترف الرئيس الأسبق (فلكس مالوم) عام ١٩٧٨م باللغة العربية كلغة رسمية لتشاد، بعد أن تم اعتماد ميثاق أساسي للجمهورية بتاريخ ٢٥ أغسطس ١٩٧٨م، مثّل دستورا للبلاد، نص في مادته الـ ٢٤، وفي فقرة السياسة الداخلية، على أن العربية والفرنسية لغتان رسميتان للبلاد.

وبعد اضطرابات سياسية عديدة وصل حسين هبرى إلى سدة الحكم عام ١٩٨٢م، وسن ميثاقا سياسيا جديدا، نص في مادته الأولى على رسمية العربية والفرنسية للبلاد. وكذلك الحال بالنسبة للدستور الذي صدر في أواخر أيام حكم حسين هبرى، عبر استفتاء شعبي في ١٠ ديسمبر ١٩٨٩م، حيث نص مادته السادسة على رسمية العربية بجانب الفرنسية. بعد ذلك بعام، وبعد أن استولى إدريس دبي على مقاليد الحكم، وقد على أول ميثاق وطني له، بعد أربعة أشهر من توليه السلطة، أبقى في مادته الرابعة رسمية اللغة العربية والفرنسية. كما أبقى هذا الوضع القانوني الميثاق الانتقالي الذي اعتمد بعد المؤتمر الوطني المستقل، وهو وثيقة لديها قوة النصوص الدستورية، لتنظيم الفترة الانتقالية، ما بين المؤتمر الوطني وإجراء الانتخابات، والذي صدر بتاريخ ٥ إبريل ١٩٩٣م، ضمن نتائج المؤتمر، بعد نقاش طويل وحاد، خلال جلسات المؤتمر، بين مؤيدي اعتماد اللغة العربية، ومعارضيها الذين كانوا يرون فيها لغة مهجورة، ولغة دين، وعاجزة عن مواكبة التطورات، وعاجزة عن فهم العلوم والتقدم التقني، إلى غير ذلك من المبررات الواهية، التي يحاجج بها هؤلاء. وقد كافح أنصار العربية؛ من المجتمع المدني، والفعاليات السياسية باستماتة، حتى تم الاعتراف الرسمي بها لغة رسمية بجانب الفرنسية.

وأخيرا فإن دستور البلاد الذي اعتمد في استفتاء شعبي في الـ ٣١ مارس ١٩٩٦م، وعدل بتاريخ ١٥ يوليو ٢٠٠٥م، قد نص في مادته التاسعة على أن العربية والفرنسية هما اللغتان الرسميتان للدولة التشادية. (٥٢)

وقد عمل الرئيس التشادي السابق حسين هبري على دمج الكادر المؤهل بالعربية، وتعيينه في السلم الوظيفي للدولة، كما أوجد إدارة خاصة بتنظيم التعليم العربي بوزارة التربية والتعليم، وفي العام الدراسي ١٩٨٥ - ١٩٨٦م أجريت أول امتحانات للشهادة الثانوية لطلاب المدارس العربية، ومن ثم فتح قسم اللغة العربية بجامعة تشاد ١٩٨٧وفي سنة ١٩٩١ تم إنشاء جامعة الملك فيصل، وهذه تعتبر ثورة كبرى في دعم مسيرة اللغة العربية في تشاد، وهي تتخذ من العربية لغة للتدريس في جميع كلياتها، بدء بكلية اللغة العربية، وكلية التربية، وكلية هندسة الحاسوب، وكلية الإدارة والاقتصاد، وكلية الشريعة والقانون، ثم المعهد العالي للدراسات الصحية. ومن ناحية أخرى قررت وزارة

التعليم العالي فتح جميع التخصصات، سواء في الجامعات أو المعاهد العليا التابعة لها، باللغتين: العربية والفرنسية، كما جعل تعليم اللغة العربية لجميع الطلاب في الجامعات في كل المستويات أمرا إجباريا.

وقد بقي أمر قانونية اللغة العربية فترة طويلة حبرا على ورق، لكن في الآونة الأخيرة جرت عدة إجراءات في الصميم، منها:

- تطبيق الازدواجية اللغوية في المراسيم الرئاسية باللغتين العربية والفرنسية، وكان أول مرسوم باللغتين، وقعه رئيس الجمهورية إدريس ديبي، هو المرسوم رقم: رقم (٦) لسنة ٢٠١١م، والقاضي بإنشاء أربعة معاهد وطنية عليا، لإعداد المعلمين.
- انعقاد أول مجلس وزراء باللغة العربية فقط، تحت قيادة رئيس الجمهورية إدريس ديبي إتنو، بتاريخ: ٣ يناير ٢٠١٢م بالعاصمة أنجمينا.
- تعيين الكوادر المثقفة باللغة العربية في مراكز قيادية هامة في الدولة، سواء كان ذلك في الوزارات، أو في الإدارات العامة.
- ترجمة أختام الدولة، وقد بدأ بالفعل ترجمة الكثير منها حتى الآن.
- إقرار وزارة التعليم العالي والبحث العلمي التعامل باللغتين في جميع الإدارات التابعة لها، حيث أصدر وزير التعليم العالي والبحث العلمي السابق أحمد جدة محمد قرارا رقم: ٠٩٥، بتاريخ ١٣ مارس ٢٠١٢م.
- إنشاء جميع التخصصات المدروسة في الجامعات التشادية باللغتين العربية والفرنسية.
- إتاحة الفرص في البعثات الخارجية، لتأهيل الكادر الوطني، سواء كان بالفرنسية أو بالعربية.
- فرض تعلم اللغة العربية بالأقسام الفرنسية في كل المستويات الدراسية من الابتدائي حتى الجامعة.
- تعيين أكثر من مئة وخمسين قاض عربفوني في القضاء التشادي.
- إجراء مسابقات سنوية حول التميز الصحفي، الناطقين بالعربية، والناطقين بالفرنسية.
- تطبيق الازدواجية في الجريدة الرسمية للدولة باللغتين العربية والفرنسية.
- وقد صرح رئيس الجمهورية إدريس ديبي في المؤتمر الصحفي الذي عقده على هامش الاحتفال بالذكرى الثامنة والخمسين لاستقلال تشاد، أن المثقفين بالعربية أكثر وطنية من المثقفين بالفرنسية، وطالب جميع التشاديين أن يحذوا حذوهم؛ لأنهم قدوة صالحة. ثم أكد ذلك واقعيا بإدخال عضوين في الحكومة التي تم تشكيلها في الثالث والعشرين من أغسطس لعام ٢٠١٥م، تحت رقم(١٧٨٠)، والعضوان هما: حسين مسار حسين وزيرا للصحة العامة، والدكتور/ الطيب إدريس حلولو وزيرا للعدل، دون أن تكون لهما أدنى دراية باللغة الفرنسية.

لكن مع هذا، تبقى هناك عقبات كثيرة، تقف أمام تقدم العربية، واستعادتها لمكانتها الحقيقية، وما هي في الواقع إلا خوف الإخوة المتفرنسين على مكانتهم القيادية التي تمتعوا بها طوال تلك الفترة، فيوصدون الأبواب أمام إخوتهم أهل العربية، حتى لا يسحبوا البساط من تحت أقدامهم. كذلك ما يزال كثير من أهل لغة الضاد متقوقعا في ذاته، غير منفتح على الآخر، والتشجع على المطالبة بحقوقه المشروعة والقانونية، لكنه حاجز سيزول مع مرور الزمن.

الهوامش

١ ـ ينظر: أثر اللغة العربية على الأمة التشادية، د. فضل كلود الدكو، بحث قدم في ندوة: اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل، دار الكتاب الوطنية، بنغازي – ليبيا، ط١، ٢٠٠٣م، ص٨٧.

٢ ـ ينظر: حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، د. عبدالفتاح مقلد الغنيمي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٢٠. ومجتمعات وسط إفريقيا بين الثقافة العربية والفرانكفونية، محمد صالح أيوب، منشورات مركز البحوث والدراسات الإفريقية، سبها – ليبيا، ص٥٩.

٣ ـ ينظر: إمبراطورية البرنو الإسلامية، د. إبراهيم طرخان، ص١٨. نقلا عن: اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل، مرجع سابق، ص١٢٨.

٤ ـ ينظر: الهجرات العربية إلى منطقة حوض بحيرة تشاد قبل الإسلام، محمد عمر الفال، بحث قدم في ندوة: اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل، مرجع سابق، ص١٢٩، وتطور الحياة السياسية في تشاد منذ الاحتلال الفرنسي حتى نهاية حكم تمبلباي، د. سعيد عبدالرحمن الحنديري، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس – ليبيا، ١٩٩٨م، ص١٨.

٥ ـ أثر اللغة العربية على الأمة التشادية، مرجع سابق، ص٩٥.

٦ ـ مساهمة القوافل التجارية في نشر اللغة العربية والحضارة الإسلامية في منطقة الساحل الإفريقي، د. عبدالرحمن عمر الماحي، بحث قدم في أعمال ندوة: التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، من يوم ١٥ – ١٧ محرم ١٤٢٨هـ، الموافق ١٢ – ١٤ مايو ١٩٩٨م، تنظيم كل من كلية الآداب، تطوان – المغرب، وكلية الدعوة الإسلامية، طرابلس – ليبيا، مراجعة وتقديم: د / عبدالحميد عبدالله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس – ليبيا، ص٦٣.

٧ ـ ينظر: الحضارات الإفريقية، وليس لوم، ترجمة: علي شاهين، دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، ١٩٧٤م، ص٣٣. يخرج

٨ ـ ينظر: إمبراطورية البرنو الإسلامية، مرجع سابق، ص٢٩. نقلا عن: اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل، مرجع سابق، ص٩١.

٩ ـ نقلا عن: اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل، مرجع سابق، ص٩٢.

١٠ ـ ينظر: المرجع السابق، ص٩٥.

١١ ـ المرجع نفسه، ص٩٢.

١٢ ـ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

١٣ ـ ينظر: مساهمة القوافل التجارية في نشر اللغة العربية والحضارة الإسلامية في منطقة الساحل الإفريقي، مرجع سابق، ص٦٤.

١٤ ـ ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن بيك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٦، ص١٠٩، و صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٦، ص١١١، والإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم برنو، ص٢٠. يخرج

١٥ ـ ينظر: تاريخ القارة الإفريقية، باريس، ١٩٨٩م، ص٩٥. يخرج

١٦ ـ The Mohammadan Empirateses of Nigeria، Hogben، s.j، ١٩٣٠، p٣٥ – ٣٦.مع الأخذ في الاعتبار أن هذه القبائل ترجع بنسبها إلى بعض القبائل العربية

١٧ ـ ينظر: أثر اللغة العربية في دار وداي، بحث قدم في ندوة: اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل، مرجع سابق ٢٤٥.

١٨ ـ تاريخ وداي: فصل من كتاب (الصحراء والسودان)، نقله إلى العربية الأستاذان: ناديا كركي وهنري كودري، مخطوط، ص٥. يخرج

١٩ ـ ينظر: مع حركة الإسلام في إفريقية، دراسة من خلال الدول التي قامت قبل الاستعمار، د. عبده بدوي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ص٦٢. نقلا ندوة: اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل، مرجع سابق ٩٢.

٢٠ ـ ينظر: أثر اللغة العربية على الأمة التشادية، بحث قدم في ندوة: اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل، مرجع سابق، ص٨٤. وجديد وحدة الفكر العربي وإفريقية، د. عبدالمجيد عابدين، ص٦٢. نقلا عن: اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل، مرجع سابق، ص٩٢.

٢١ ـ ينظر: مع حركة الإسلام في إفريقيا، مرجع سابق، ص١٤٣.

٢٢ ـ ينظر: تطور الحياة السياسية في تشاد منذ الاحتلال الفرنسي حتى نهاية حكم تمبلباي، مرجع سابق،ص ٢٠، و موسوعة التاريخ الإسلامي

والحضارة الإسلامية ،د.أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، ١٩٨٣م، ص١٤١. يخرج

٢٣ ـ ينظر: العوامل الرئيسية لانتشار الإسلام في إفريقيا الماضي والحاضر، أ. مهدي ساتي، بحث قدم إلى (أسبوع الدعوة الأول) ١٤٠٥هـ، المركز الإفريقي، ص٤.

٢٤ ـ ينظر: وتطور الحياة السياسية في تشاد منذ الاحتلال الفرنسي حتى نهاية حكم تمبلباي، المرجع السابق، ص٢٠.

٢٥ ـ ينظر: المجتمع التشادي في عهد الاحتلال الفرنسي، د. عبدالرحمن عمر الماحي، ١٩١٨-١٩٦٠م، الجريسي للكمبيوتر والطباعة والتصوير، القاهرة ،١٩٩٧م، ص٥٨.

٢٦ ـ ينظر: أثر اللغة العربية على الأمة التشادية، مرجع سابق، ص٨٩.

٢٧ ـ هو سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو الحميري، من ملوك العرب اليمانيين، ودهائهم. قيل اسمه معد يكرب، ولد نحو ١١٠ق-هـ الموافق ٥١٦م، وتوفي سنة ٥٠ق هـ بصنعاء، وكان الأحباش قد ملكوا اليمن في أوائل القرن السادس الميلادي، وقتلوا ملوكها من آل حمير، فنهض سيف، وقصد إنطاكية، وفيها قصر ملك الروم، فشكا إليه ما أصاب اليمن، فلم يلتفت إليه، فقصد النعمان بن المنذر (عامل كسرى على الحيرة والعراق) فأوصله إلى كسرى أنوشروان (ملك الفرس) فحدثه بأمره، فبعث كسرى معه نحو ثماني مائة رجل ممن كانوا في سجونه، فأقبل عليهم شريفا من العجم اسمه (وهرز) فسار بهم إلى الأبلة (غرب البصرة) وركبوا البحر، وخرجوا بساحل عدن، فأقبل عليهم رجال اليمن يناصرونهم، فقتلوا ملك الحبشة وهو مسروق بن أبرهم الأشرم، ودخلوا صنعاء، وكتبوا إلى كسرى بالفتح، فألحقت اليمن ببلاد الفرس على أن يكون ملكها والمتصرف في شئونها سيف بن ذي يزن. واتخذ الملك سيف (غمدان) قصرا له، وعاد الفرس إلى بلادهم، واستبقى سيف جماعة من الحبشان أشفق عليهم وجعلهم خدما له. ووفدت عليه أمراء العرب تهنئه، فمكث في الملك نحو خمس وعشرين سنة، أو دون ذلك. وائتمر عليه بقايا الأحباش، فقتلوه بصنعاء، وهو آخر من ملك اليمن من قحطان. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط١٤، شباط فبراير، ١٩٩٩، ج٣، صـ١٤٩. ويبدو لي بعد ذلك تفرقت أسرته حتى وصلت إلى هذه المنطقة وكونت مملكة كانم.

٢٨ ـ ينظر: الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبدالحق السنوسي الترجمي في دار وداي – شاد، محمد صالح أيوب، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس – ليبيا، ٢٠٠١م، ص٤٦.

٢٩ ـ ينظر: مساهمة القوافل التجارية في نشر اللغة العربية والحضارة الإسلامية في منطقة الساحل الإفريقي، مرجع سابق، ص٦٤. وحركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص١٦ – ١٧.

٣٠ ـ ينظر: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء، مرحلة انتشار الإسلام، د. عطية مخزوم الفيتوري، دار الكتب الوطنية، بنغازي – ليبيا، ١٩٩٨م، ط١، ص٢٢٢.

٣١ ـ ينظر: أطلس العالم الإسلامي، د / حسين مؤنس، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة – مصر، ط١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص٣٧٨.

٣٢ ـ ينظر: الدعوة إلى الإسلام، سير توماس أرنولد، تر: د / حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط٣، ١٩٧٠، ص٣٥٩ – ٣٦٠، ومجتمعات وسط إفريقيا بين الثقافة العربية والفرانكفونية، مرجع سابق، ص٣٧، والتاريخ الإسلامي ، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٩١م ، بيروت – لبنان، ص٥٥٧.

٣٣ ـ ينظر: الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، تقي الدين المقريزي، ص٢١، وSudanese memoir، Palmar نقلا عن: اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل، ص٩٣ – ٩٤.

٣٤ ـ أثر اللغة العربية على الأمة التشادية، مرجع سابق، ص٨٧. بتصرف طفيف.

٣٥ ـ ينظر: التواصل اللغوي والثقافات، جان بيير كابريل، تعريب: سيدي محمد بن محمد عبدالله، ص٤. يخرج و: لاسيتو، حولية جامعة تشاد، كابريل، عدد خاص، ١٩٩٦م، ص٢٢. يخرج

٣٦ ـ يراجع هذا الأمر باستفاضة في: التعدد اللغوي والتباين الثقافي والعرقي في تشاد، د. علي قمر السليك، بحث قدم في ندوة: اللغة العربي في تشاد الواقع والمستقبل، مرجع سابق، ص٧٢.

٣٧ ـ يراجع: تباين اللغة العربية بين الشارع والدواوين الرسمية، د. علي قضاي الدخر، مداخلة قدمت في: ندوة اللغة العربي في تشاد الواقع والمستقبل،

المرجع سابق، ص٦٤٥.

٣٨ ـ ينظر: إمبراطورية البرنو الإسلامية، ص١٧٦، نقلا عن اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل، ص١٧٧.

٣٩ ـ ينظر: اللغة العربية في تشاد لغة إبداع، د. عبدالله حمدنا اله، بحث قدم في ندوة: اللغة العربي في تشاد الواقع والمستقبل، مرجع سابق، ص١٧٧.

٤٠ ـ المرجع نفسه، ص١٧٨.

٤١ ـ ينظر: تباين اللغة العربية بين الشارع والدواوين الرسمية، مرجع سبق، ص٦٤٤.

٤٢ ـ ينظر: المرجع نفسه، ص٩٦.

٤٣ ـ ينظر: المرجع نفسه، ص٦٤٥.

٤٤ ـ ينظر: المجتمع التشادي والثنائية العربية الفرنسية، د. حمدي محمد أحمد، بحث قدم في ندوة: اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل، مرجع سابق، ص٦٨٤.

٤٥ ـ الكبكب هو الساطور، وقد استعمله الفرنسيون في مجزرة بشعة بحق علماء دار وداي. وقد وردت عدة روايات في أسباب ارتكاب الفرنسيين لذلك الفعل الإجرامي، والسلطات الفرنسية نفسها تقر به، وروايتها تقول: إن أحد العبيد من أهل أبشة يدعى (خبر جاء) قام بطعن جندي فرنسي فقتله، فلما قبض عليه اعترف وقال: إن وازعه الديني الذي استقاه من قبل العلماء،دفعه إلى قتل هذا الكافر،فانتقم الفرنسيون فاستعملوا الكبكب في قطع رؤوس الأبرياء،وجمعوها أكوما حتى تتاح لهم فرصة التفرج إليهم، والسخرية بقادة المسلمين، وقد بدأ ة العملية فجر الخميس ٢٥ يناير ١٩١٧م، واستمرت عدة أيام. ينظر: طريق الهدى والرشاد، الحاج مكي عبدالله التجاني، ط٥، (د – ت)، ص١٢١.

٤٦ ـ ينظر: المجتمع التشادي والثنائية العربية الفرنسية، مرجع سابق، ص٦٨٤.

٤٧ ـ ينظر: الرجع نفسه، الصفحة نفسها.

٤٨ ـ يراجع: مخطوط المتحف الوطني التشادي، رقم ١٩٣٥/٧٦٤م، أنجمينا – تشاد.

٤٩ ـ يراجع: مخطوط المتحف الوطني التشادي، رقم ١٩٢٨/٦٧٦م، أنجمينا – تشاد.

٥٠ ـ كوكب التشاد، جريدة شهرية، إخبارية اقتصادية، أدبية، عدد (٧) مايو ١٩٥٤م، السنة الثالثة، فور لامي.

٥١ ـ أصدر الرئيس تمبلباي مرسوما رئاسيا، رقم ١٥٩٥، سنة ١٩٦٦م، اعترف فيه تدريس اللغة العربية، ودعم مدارسها المتوفرة، وأورد اثنتي عشرة مدرسة لدعمها ماديا في جميع القطر التشادي.

٥٢ ـ ينظر: رسمية اللغة العربية في تشاد، مجلة شباب تشاد، عباس محمود طاهر، العدد الثاني، يناير ٢٠١٣م، مطابع الأهرام التجارية قيلوب، ص١٠.